« الديموقراطية فى مصر »

انتخابـات ١٩٨٤

فيلم تسجيلى ملون فى نصف ساعة

اخـــــراج : عبد القادر التلمسانى
مدير التصوير : حســن التلمســانى
مونتـــــاج : حســن حلمــى
سيناريـــو : حســن فــؤاد
تعليـــــق : صـــلاح حافـــظ
موسيقـــــى : عبد العظيم عويضة
وعلاء الدين مصطفى
مهندس الصوت : جميــل عزيــز
انتاج سنة ١٩٨٥ (لحساب الهيئة العامة للاستعلامات)

الموضــوع :

لم يتوقف نضال المصريين من أجل الحرية منذ أقدم العصور.. وفى العصر الحديث مارس المصريون الانتخابات النيابية أكثر من مرة، ولكن فى ظل قيود كثيرة.

إلى أن كانت انتخابات مايو ١٩٨٤، فى ظل نظام حزبى حر، وبلا قيود، سبقتها حملة انتخابية ساخنة، وشارك فيها ملايين الرجال والنساء فى الريف والمدينة، وتمت باشراف قضائى على يد ٢٣ ألف لجنة انتخابية وتابعتها صحافة العالم ووكالات الأنباء، وكان اعلان نتائجها إيذانا ببدء عصر جديد للديمقراطية المصرية، يحقق آمال الذين ناضلوا فى سبيلها.

التعليــق :

● يولد الإنسان حرا، لكنه يعيش حياته كلها يدفع ثمن الاحتفاظ بحريته.

● يعيش يعمل حتى يتحرر من الحاجة .

● يعيش يدرس ، حتى يتحرر من الجهل .

● يعيش يزرع ، حتى يتحرر من الجوع .

● والحرية هى هدف الذى يبنى ، والحرية هى التى تلهمه أن يبنى .. سواء لنفسه ، أو لأهله ، أو للملايين المتزايدة من أولاده وأحفاده .

● وقد كان المصريون أول شعب خاف على حريته فأقام دولة تحميها ، وأسس الفراعنة حضارة تصون الحقوق ، وتحمى الضعيف من القوى .

ولكن سلطة الدولة أصبحت هى نفسها قيدا على الحرية ، فبدأ صراع طويل من أجل تقييد هذه السلطة .

● واستمر الصراع أيام المماليك عندما تزعم الشيخ الشرقاوى ثورة الفلاحين على مظالم الألفى بك ، وتم التوصل إلى اتفاق مكتوب يقيّد سلطة الألفى ، ويصون بعض حقوق الفلاحين .

● ثم جاء نابليون .. يغزو مصر .. فاستغل المصريون الفرصة ، وفرضوا عليه بتمردهم إنشاء ديوان من زعمائهم ، يناقشه فيما يصدر من قرارات . ثم ذهب نابليون ، فتقدم المصريون خطوة أخرى ، وواجهوا السلطان الذى كان يحكمهم من تركيا بأنهم قد اختاروا محمد على واليا عليهم وأجلسوه بالفعل فى مقعد الوالى بالقلعة .

● وتقدم المصريون خطوة أخرى بعد محمد على .. وفرضوا على الخديوى اسماعيل تشكيل مجلس الشورى ، تلتزم الحكومة بأخذ رأيه فى شئون الحكم .

● ولكن اسماعيل عُزل ، وتنكر خليفته توفيق لمجلس الشورى ، فثار المصريون فى الجيش الذى كان يحكمه الأتراك ، وتزعم عرابى الثورة ، وأسس أول حكومة تحقق حلم المصريين فى دولة تحمى حريتهم .

● ولكن الانجليز زحفوا يحتلون البلادو وخنقوا الحلم فى مهده ، ليقيموا حكما لا حرية فيه إلا لهم .

● وعاد المصريون من جديد يدفعون مهر الحرية عام ١٩١٩ ، عندما ثاروا بقيادة سعد زغلول واختلطت دماء المسلمين والمسيحيين على التراب المصرى ثمنا للحلم الذى لم ينسوه أبدا .. حلم الحكومة التى تنتمى إليهم وتصون لهم حياة الأحرار .

وظل الحكم يتقدم مرة ، ويتراجع أخرى ، وقضية الحرية وقودُه الذى لا ينفد ، وكلمة الدستور شعاره ورايته .

● إلى أن كان يوليو ١٩٥٢ وعاد جيش مصر يستأنف المهمة التى لم تتم على يد عرابى، وأعلن كهدف لثورته : إقامة حكم ديمقراطى. وكان خروج الملك خطوة نحو الحرية.

ثم كان جلاء الانجليز ــ خطوة أخرى.

● وبدأت ثورة يوليو بتحرير الفلاح من الاقطاع.

وحرر عبد الناصر العامل أيضاً من الخوف على مستقبله.

وأطلقت الثورة مواهب المصريين تبنى للمستقبل.

لكن الحلم الديمقراطى تعثر فى مواجهة معارك عصيبة.

بدأت بعدوان بريطانيا وفرنسا واسرائيل عام ١٩٥٦.

وانتهت بعبور مقاتلى مصر قناة السويس فى اكتوبر ١٩٧٣.

وبتحرير الأرض لم يبق مبرر لتأجيل حرية المواطنين.

أعلن السادات تشكيل منابر سياسية.

● وصدرت صحف تعبّر عنها، ثم تحولت المنابر إلى أحزاب حرة.. وتقدمت إلى المصريين طالبة ثقتهم فى انتخابات جديدة.

وأطلت شاشات التليفزيون المصرى لأول مرة وجوه زعماء الأحزاب يعرضون برامجهم..

إبراهيم شكرى رئيس حزب العمل الاشتراكى.

مصطفى كامل مراد.. رئيس حزب الأحرار الاشتراكيين.

خالد محى الدين.. رئيس حزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى.

فؤاد سراج الدين.. رئيس حزب الوفد الجديد.

فؤاد محى الدين.. الأمين العام للحزب الوطنى الديمقراطى.

فى ذلك الوقت واصل نفس الزعماء عرض برامجهم على موجات الاذاعة أيضاً.

● بدأت الحملة الانتخابية مبكرة وغزت اللافتات فى الاسكندرية الشوارع.. والشواطىء..

● ونشطت المطابع لاصدار عشرات الألوف من نشرات المرشحين.

● وكانت الحملة ساخنة فى طقس أسوان الساخن بطبيعته.

● وفى الفيوم غزت لافتات المرشحين حتى ظهور الحناطير.

● أما القاهرة، فكانت كعادتها عاصمة الحملة وعقلها القائد وقلبها النابض.. ولم تبق قرية فى ريف مصر لم تهب على بيوتها وحقولها رياح المنافسة. دخل الانتخابات خمسة أحزاب.. وبدأ كل منها يعقد اجتماعاته تمهيداً للمعركة. وشهدت جماهير غفيرة من أهل الريف.. أول اجتماع يعقده هناك حزب التجمع الوطنى.

● وشهد أهل العريش بعد تحريرها أول اجتماع يعقده هناك حزب العمل الاشتراكى.

● وشهد أهل السيدة زينب أول اجتماع يعقده فى حيّهم حزب الوفد الجديد.

● وتقدم الحزب الوطنى الديمقراطى أيضاً، يطلب من المواطنين ثقتهم ويطرح برنامجه للمستقبل.

● بدأ المصريون يجنون ثمار نضالهم فى سبيل الحرية، وبدأت المتاعب.. تجنيد عشرات الألوف من أعضاء اللجان، وإعدادهم للمهام الشاقة التى تنتظرهم.. ولم يكن هناك مكان يتسع لهم غير استاذ الاسكندرية فقد كانوا يشكلون ٢٣ ألف لجنة انتخابية.

ولم يكن سهلا إعداد ملايين البطاقات وإحكام حزمها وصيانتها بالشمع والاختام.

● وفى مساء يوم ٢٦مايو ١٩٨٤ دعا رئيس الجمهورية ملايين المصريين أن يتقدموا ويمارسوا الحلم الذى طال انتظاره.

ما أكثر الذين دفعوا حياتهم ثمنا لكى يسمعوا هذه الكلمات على لسان حاكم.

● وفى صباح ٢٧مايو، زحف الناس إلى الصناديق، يعيشون الحلم الذى طالما ضحوا من أجله وماتوا فى سبيله.

ومن الاسكندرية إلى أسوان بدأت الصناديق تستقبل البطاقات وتتزاحم داخلها رموز الصراع الساخن بين برامج الاحزاب وعصبيات الأسر ومصالح جماهير الناس.

جرت إنتخابات قبل ذلك فى مصر ولكن فى ظل الاحتلال.. أو فى ظل تنظيم واحد حاكم.. أو فى ظل قيود لحق التصويت وحق الترشيح.

أما هذه المرة، فإرادة المصريين كانت مطلقة السراح.
وكان تمثيل المرأة واضحاً، باعتبارها نصف المجتمع وإرادتها بعض إرادته.
وفى أسوان بدأوا مبكرين وزحفوا على اللجان جماعات.
وكان تمثيل المرأة ــ فى هذا المجتمع المحافظ ــ ملفتاً للنظر.

● وفى الفيوم انتهت أيام شحن الناخبين فى اللوارى، يسوقوهم إلى الصناديق بأمر.. حضرة العمدة..

● تدافع الناخبون باختيارهم، وباصرار واضح، وكانت قضايا الزراعة بالطبع أبرز ما دارت حوله الحملة الانتخابية فمصير النبتة فى الحقل هو قضية الفلاح الأولى فى كل زمان ومكان.

● ولم يكن جديدا على المناطق الصناعية، مثل حلوان، حرص الناخبين على التصويت، فالحركة العمالية فى مصر ولدت مطالبة بالديمقراطية.

● وفى ضاحية المعادى الهادئة، لم يتخلف حتى كبار السن، تأمينا لحرية الأبناء والأحفاد.

● وتحت ظلال الأهرام فى الجيزة، حيث أقام الفراعنة كثيراً من صروح حضارتهم.. زحفت الطوابير تحقق حلم الفلاح الفصيح الذى قطع آلاف الأميال ــ منذ آلاف السنين ــ سعيا وراء حقه.

● وفى العريش بعد تحريرها، كان اليوم أشبه بمهرجان للتحرير، وتوالت طوابير البدو كما لو كان أوفدهم عرابى الذى لم يعش ليرى حلمه يتحقق.. وكما لو كانوا يصوتون نيابة عن مصطفى كامل، وسعد زغلول والشيخ الشرقاوى. وبدا نساء البدو كما كن موفدات من هدى شعراوى وصفية زغلول.

● كان مغرب ذلك اليوم إيذانا بشمس غد جديد للديمقراطية المصرية فى فجر اليوم التالى.

وزفت الصناديق التى تبشر بذلك الغد الجديد كما تزف العرائس فى حماية الناخبين ومندوبى المرشحين.

وبدأ فض الأختام، وفرز الأصوات، بإشراف قضائى وبحضور المندوبين.. وسهرت غرفة العمليات فى وزارة الداخلية تتلقى النتائج وتبلغها أولاً بأول إلى خزانة الأصوات المركزية.

● إنتهت المبارة وتحوّل الحلم الديمقراطى إلى خرائط وأرقام فى الذاكرات الإلكترونية، وكانت هذه أول مرة يستخدم فيها الكمبيوتر فى انتخابات مصرية.

إنتخابات دعى إليها ١٢ مليونا من المصريين وتشكلت لها ٢٣ ألف لجنة إنتخابية وأشرف عليها ٣١٦ من القضاة والمستشارين.

وكانت الأصوات الصحيحة التى أدلى بها خمسة ملايين، وكان لابد من حسابات معقدة للنسب التى فاز بها كل حزب، قبل إعلان النتائج.

● وتجمعت روافد الإرادة المصرية لتصب فى النهاية عند اللجنة العليا حيث يرأس القضاة عملية المراجعة النهائية.

● وأخيراً جاءت اللحظة التى ينتظرها الملايين وحرصت صحافة مصر والعالم على أن تكون شاهداً عليها.. لحظة إعلان النتائج على لسان وزير الداخلية. لم يبق الآن إلا أن يحلف ممثلوا الشعب اليمين على الولاء للمهمة والحلم الذى أصبح مجسداً فى مجلسهم الجديد.

● .. حلم عرابى.. والفلاح الفصيح..

● «أقسم بالله العظيم أن أحافظ مخلصاً على سلامة الوطن، والنظام الجمهورى، وأن أرعى مصالح الشعب، وأن أحترم الدستور والقانون».

قالها الذين انتخبهم أهل الريف، والذين انتخبهم أهل المدينة، والذين انتخبهم أهل الصحراء.. لا ليمثلوا ناخبيهم فقط، ولكن ليمثلوا الأمة كلها.

● ويرأس الجلسة أكبر الأعضاء سنا، وكان سيدة.. ثم تخلت عن مقعدها للرئيس المنتخب.

● ثم كان ختام الطقوس.. إجتماع مشترك لمجلسى الشعب والشورى، خاطب فيه رئيس الجمهورية حراس الحرية الجدد وورثة الحلم التاريخى للمصريين.

● لكن الحرية كتاب لا تنتهى صفحاته.. وكل جيل يضيف إلى صفحات الكتاب.. يرثه جيل.. يضيف صفحات أخرى.

جيل يتعلم لكى يتحرر من الجهل.. ويعمل لكى يتحرر من الحاجة.. ويبنى فوق ما بنى أجداده.. على أرض أكثر حرية.

● ● ●